أسرار في السودان: الماسونية والمؤامرة في السودان

بين موقن ... ومشكك ... ومن لا يبالي

د. أمجد محمد إدريس

تقديم

لعل الحديث عن الماسونية ومفهومها هو موضوع غامض ومتشعب وكبير بصورة مثيرة، وقد وجدتني مضطراً إلي تأجيل كتابة هذا المقال ولعدة أشهر حتى أتمكن من الإلمام بمستوى كافي من المعلومات التي تمكنني من أن أمسك القلم لكي نطرح معاً قضية خطيرة كقضية الماسونية ووجودها من عدمه في السودان في وقتنا الحاضر، وتأثيرها بشكل عام علي الأوضاع في السودان. ولقد قمت بالإطلاع علي أكثر من مائة مصدر بين كتاب ومقال وفيلم وثائقي حول موضوع الماسونية بشكل عام والتي ناقشت في مجملها عدداً كبيراً من المحاور المرتبطة بمنظمة الماسونية بدءً من تأريخها مروراً بتأثيرها علي العالم وما يحدث فيه من أحداث ومدى إنعكاس ذلك علي الواقع الذي تعيشه الشعوب في الكثير من الأماكن في العالم بما فيها السودان. بالإضافة إلي هذه المراجعة لمختلف وسائل المعلومات، كنت قد قمت بإجراء إستطلاع بسيط المدى والمفهوم وسط بعض مكونات المجتمع السوداني حول الماسونية ومعناها وما هي. وقد ذهلت بالنتائج التي تحصلت عليها من هذا الإستطلاع حيث أن معلومات الغالبية ممن تحدثت معهم ضعيفة للغاية حول هذا الموضوع، عدد منهم لا يدري عنه شيئاً البتة، ومن يعلم القليل من المعلومات لا تكون بالضرورة دقيقة أو صحيحة أو أن كل ما للشخص من معرفة هو مصطلح الماسونية وإرتباطها باليهود. عددٌ قليلٌ من الناس الذين إلتقيتهم لديهم معلومات حول الماسونية وتاريخها وتأثيرها في ما يدور في العالم بشكل عام وفي السودان بشكل خاص.

وبالرغم من تقديري بأن عدداً من قراء هذا المقال قد لا تكون لديهم معرفة كافية بالماسونية، إلا أنني لن أقوم بالحديث مطولاً عن الماسونية وتاريخها ووجودها في العالم، وأتمنى منك عزيزي القارئ أن تقوم بالإطلاع بنفسك علي معلومات أكثر حول هذا الموضوع، وذلك في حال شعرت بأنك بحوجة للمزيد من المعلومات. وبدلاً عن التركيز علي الماسونية كحركة عالمية في هذا المقال، سنقوم في البدء بطرح بعض المعلومات الأساسية لربط القارئ بتاريخ الماسونية بما سنتناوله لاحقاً في هذا الإطار، ثم سنتناول لاحقاً وبشئ من التفصيل علاقة الماسونية بمحيط السودان الجغرافي والسياسي، ثم سنتناول المحفل الماسوني السوداني تاريخياً وتاثير هذا التاريخ علي الوضع الراهن.

لكن قبل الولوج في كل هذه التفاصيل، يجب علي من حيث الأمانة التوثيقية أن أشير إلي أنه وبالرغم من إطلاعي علي عدد كبير من مصادر المعلومات، إلا أنني لم أجد ما يشير بشكل علمي ودقيق، وبناءً علي أدلة ملموسة علي الوجود الماسوني في السودان عقب العام 1970م، وهو ما يجب الإشارة له بصورة واضحة في مقدمة هذا المقال حتى تتضح لك عزيزي القارئ بشكل واضح، وحتى لا نرفع من سقف توقعاتك أكثر مما ينبغي لصورة غير واقعية. وقد وجدت أغلب مصادر المعلومات التي تناولت الوجود الماسوني في السودان تميل إلي الإستنتاج والتحليل القائم بشكل كبير علي توجيه أصابع الإتهام الذي يكون أساسه سياسي بشكل كبير، وقد لاحظت بشكل واضح إرتباط الماسونية بالسياسة بشكل كبير في السودان خاصةً في أوساط الطبقة المثقفة وهو شئ متوقع تماماً كما أنه ليس حكراً علي السودان فقط.



بعض شعارات ورموز للماسونية

ما هي الماسونية؟

في البدء، لابد لنا من الحديث بشكل مبسط وسريع حول ماهي الماسونية، وسنقوم بإيراد بعض المعلومات في عرض سريع لأهم المحاور التي تهمنا في هذا المقال.

1. أجمعت العديد من المصادر علي أن الماسونية هي منظمة سرية التكوين ترجع أصولها إلي عهود تاريخية قديمة وقد تم تأسيسها لتحقيق أهداف دينية في المقام الأول وتوسعت لاحقاً لتضم أهداف أخرى ترتبط بأغراض سياسية وأيدولوجية. وقد أرجعت عدد من الوثائق التي إهتمت بالتوثيق للفكر الماسوني إلي أن الغرض الأساسي من إنشاء النواة الأولى لمنظمة الماسونية قام علي أساس إنشاء مجموعة تهدف بصورة أساسية إلي مناهضة الدين المسيحي والقضاء علي دعوة السيد المسيح في ذلك الوقت، وبشكل خاص إرتبط هذا الأمر بمجموعة من اليهود وعدد آخر ممن لا يعتقدون في توحيد الإله لكنهم يحملون راية اليهودية نفاقاً وكذباً. هذه المجموعة حاولت بكافة السبل مناهضة الدين المسيحي الذي بدأ في الإنتشار وفي ذات الوقت مواصلة التوجه القديم لدى اليهود والقاضي بإقامة دولة يهوذا (وتعرف أيضاً بمملكة إسرائيل الموحدة) مرة اخرى والتي يجب أن تقوم - وفق معتقدات اليهود - علي أساس هيكل النبي سليمان عند المسجد الأقصى (هذه معلومات تاريخية مهمة يجب أن تطلع عليها عزيزي القارئ إذا لم تكن ملماً بها). ومع توسع الديانة المسيحية، وإيضاُ بروز الدعوة إلي الدين الإسلامي في القرن الثامن الميلادي، تحول الهدف العام لهذه المنظمة إلي مناهضة الاديان بشكل عام وبالتالي أصبح للمنظمة هدفين إستراتيجيين أولهما المحافظة علي الديانة اليهودية وإقامة الدولة اليهودية كما ذكرنا سابقاً، وثاني هذه الأهداف هو محاربة الأديان، بالتركيز علي الكنيسة الأرثوذكسية والاسلام بكل طوائفه، ومحاربة كل ما تمثله هذه الأديان ومحاربة محتواها بشكل أساسي، وذلك بغرض المساهمة في تحقيق الهدف الأول، وهو الأهم بالنسبة لهذه المنظمة. ولعل هذه المعلومات تقدم لك عزيزي القارئ خلاصة مبسطة حول الماسونية وبداية تكوينها وأهدافها وسيكون من المفيد لك التوسع في معرفتك بهذا الكيان وتاريخه المحدد.
2. عرف عن الماسونية علي مدى تاريخها سرية تكوينها وعضويتها وتحركاتها، وقد سميت في فترة من الفترات (أو ما عرف بعهد التأسيس) بالقوة الخفية وسميت لاحقاً عند إنتقال مقرها إلي بريطانيا

بالماسونية وذلك حين إتخذت من نقابة البنائين الأحرار (Free Manson) في بريطانيا لافتةً تعمل من خلالها كغطاء ثم التصق بهم هذا الاسم، وتعددت الروايات حول سبب التسمية. إلا أن بعض المؤرخين قال بأن إسم البنائين الأحرار إرتبط ببداية تكوين الجماعة حيث أنه يقوم علي أساس فكرة أن المنظمة تسعى إلي إعادة بناء هيكل سليمان، إلا أن هذا الإتجاه لم يجد له مؤيدين كثر من ناحية تاريخية، لكن تبقى الرواية الأولى هي الأكثر شيوعاً.

3. من الضروري في هذا المقام أن نقوم بطرح جانب مهم للغاية حول الفكر الماسوني، الا وهو كيف يريد أعضاء هذه المنظمة أن يتم النظر إليهم. وفي عجالة نسرد بعض من ملامح الصورة التي يريد الماسونييون أن ينظر لهم بها:
   - أهداف المنظمة تدعو إلي الإيمان بالأخوه التي تجمع الإنسانية ولا ترى بالضرورة أن ذلك يتعارض مع إختلافات أعضاء المنظمة من حيث الإنتماء الديني أو العقائدي.
   - الفكر الماسوني قائم علي فكرة الإيمان بوجود خالق أعظم للكون وما فيه، وقد كان لهذه المساحة دورها في إستقطاب كل من آمن بوجود وتوحيد الإله سواء أن كان مسيحياً أو مسلماً او ينتمى إلي أي ديانة توحيدية اخرى، وترفض المنظمة علي الأقل من الناحية النظرية إنضمام الملحدين بوجود الإله الأوحد.
   - سعت المنظمة في كل تاريخها إلي تقديم نفسها كبديل لعدد من المنظمات الاخرى وسعت إلي التركيز علي سلمية وسائلها التي تستخدمها في الوصول إلي أهداف معلنة –بخلاف تلك الأهداف الأساسية السرية- مثل تطوير العالم والإنسانية وخدمة المجتمعات وتنميتها.
4. لقد تنوعت وتعدد الوسائل التي إستخدمها الماسونيون في تحقيق أهدافهم، وإختلفت هذه الوسائل بإختلاف الحقب التاريخية والسياق الفكري، السياسي، الإجتماعي والديني في كل فترة من الفترات. والمتتبع للوسائل التي إتخذتها المنظمة الماسونية لتحقيق أهدافها سيرى أنها قد إتخذت الوصولية والنفعية بشكل أساسي لتحقيق أغراضها وأهدافها التي تعرضنا لها سابقاً. ولعل مبدأ "الغاية تبرر الوسيلة" الذي أتى به المفكر مكيافيلي في بداية القرن السادس عشر الميلادي هو من المبادئ الأساسية التي إرتكز عليها الفكر الماسوني في العصر الحديث خاصةً عقب قيام الثورة الفرنسية لاحقاً في القرن الثامن عشر الميلادي. وسنتعرض لهذا الجانب بشئ من التفصيل لاحقاً في هذا المقال وفق ما يأتي به السياق.
5. الكثير من الشواهد – وكذلك هو ما قال به كثير من المتتبعين لشئون الماسونية – أن الضعف قد بدأ يتغلل في هيكل الماسونية كمنظمة وكنظام، وأن التجانس القديم في التفكير وفي طرق الإنتساب وكذلك قواعد السرية كلها قد ضعفت أو بدأت في التداعي. إضافة إلي ذلك فإن سياق السرية الذي

كان يحيط بالمنظمة قد تم كسره خاصةً مع تطور وسائل التواصل والإعلام في الفترة الأخيرة الأمر الذي جعل الحصول علي المعلومة ومن عدة مصادر أمراً سهلاً وأكثر مصداقية.

ما هي نظرية المؤامرة؟

لا يمكن الحديث عن الماسونية دون الحديث عن نظرية المؤامرة. والحديث عن نظرية المؤامرة في حد ذاته هو حديث يطول، دعك من أن يقرن في ذات الوقت بالحديث عن الماسونية. لكن الكثير من المتتبعين لهذين الموضوعين المترابطين لا يجدون إنفصالاً بين المحورين فكلاهما، حسب رأي الذين يعتقدون في وجود المؤامرة، هما وجهين لعملة واحدة.

بمراجعة سريعة لعدد من مصادر المعلومات وكذلك بتتبع عدد من مواقع التواصل الإجتماعي، سنجد أن الناس حول العالم بشكل عام وبشكل خاص العرب منهم ينقسمون إلي ثلاثة أقسام حين تكون نظرية المؤامرة في إطار الحديث.حيث سنجد أن: (1) السواد الأعظم من الناس لا يعرفون ولا يهمهم أن يعرفوا عن هذا النظرية ليس جهلاً وإن كان الجهل بها من الأسباب، ولكن لأن نظرية المؤامرة خارج دائرة الإهتمامات وأولويات المعرفة. أما عن الأقلية من الناس الذين يضعون نظرية المؤامرة ضمن قائمة الموضوعات التي قد يدورها حول النقاش، سنجد أنهم ينقسمون إلي فئتين فمنهم (2) من يتفق مع حقيقة وجودها وتأثيرها في واقع الحياة وبين من (3) ومن الناس من يرون فيها مجرد أكذوبة كبيرة لا وجود لها إلا في عقول من يؤمنون بها.

هذا التراوح بين المعارضة والموافقة وبين عدم الإهتمام يضعنا أمام تساؤلين يمكن أن نتطرق لهما لاحقاً. الأول ما هي نظرية المؤامرة؟ والثاني هل هي موجودة أم لا؟

ولعلنا نبدأ بالسؤال الأول حول ما هي نظرية المؤامرة؟ المؤامرة لها أبعاد كثيرة وبالرغم من أنه يطلق عليها "نظرية"، إلا أنها في الحقيقة عدة نظريات تختلف في مفهومها وأسبابها وتفاصيل كيفية حدوث هذه المؤامرة ولكنها جميعاً تلتقي في كلمات مفتاحية أساسية كما سنرى ذلك لاحقاً وهي (الماسونية، اليهودية، القدس، السلطة وحكم العالم). وهكذا تتعدد المفاهيم لكنها تجتمع في قاعدة واحدة وكأن القول بأن "كل الطرق تؤدي إلي روما" ينطبق بلا شك في هذا المقام. ولعله لن يكون من الحكمة أن نقوم بسرد تفصيلي لكل "نظريات" المؤامرة، ولكن لعلنا نجمع لك عزيزي القارئ خلاصة هذه النظريات بشكل سريع:

المنظور الأول لنظرية المؤامرة: وهو أكثر الروايات شيوعاً لنظرية المؤامرة مرتبط بالضرورة مع الهدف الأساسي لقيام منظمة الماسونية. حيث يرى القائلون بهذا المنظور أن الهدف الأساسي لمفهوم المؤامرة يرتبط بأبعاد سياسية بإمتياز تتمثل في رغبة اليهود في إقامة دولة يهوذا (مملكة إسرائيل الموحدة) في القدس

وما حولها، والتي ستحكم العالم كله من القدس بعد إعادة بناء هيكل سليمان. المؤامرة قائمة علي إقامة نظام دولي واحد يمهد لقيام هذا الدولة بحيث يتم تطويع العالم وكل شعوبه بمختلف الأساليب والأدوات التي تضمن تحقيق هذا الهدف، وتقول النظرية بالدور الكبير للماسونية كمنظمة في تخطيط وتنفيذ المخطط الذي يهدف إلي التحكم في العالم بهذا المفهوم. ولعل محاولة إستعادة القدس –عبر الحروب الصليبية- هي أحد أهم العلامات التي يستدل بها القائلون بهذا المنظور، وما تبع ذلك من محاولات حتى تم تحقيق عودة اليهود إلي القدس وفلسطين في اواخر القرن الميلادي العشرين.

المنظور الثاني للمؤامرة: هو منظور مرتبط إرتباط وثيق بالمنظور الأول، وإن كان الهدف الأساسي من وجهة نظر من يتبنون هذا المنظور هو هدف ديني في المقام الأول. ويقول من يؤمن بهذا المبدأ أن الهدف الأساسي للماسونية هو المحافظة علي الديانة اليهودية وبالتالي تسعى المؤامرة إلي هدم ما خلافها من الديانات مثل المسيحية أولاً ثم بهد ذلك الإسلام لاحقاً. ويتبنى الكثير من علماء الدين الإسلامي هذا المنظور الذي يقوم علي أساس أن المستهدف هو الدين في حد ذاته وتأتي بقية المحاور الاخرى بإعتبارها تفاصيل أو أهداف فرعية. ويتفق هذا المنظور مع سابقه في أن الماسونية تستخدم كافة الأساليب المشروعة وغير المشروعة في تحقيق هدفها في هزيمة المسيحية والإسلام وطمس ملامح الدين لدى المسيحيين والمسلمين وكذلك في بناء صورة سلبية ومنفرة عنهما. وقد وجدت مقطعاً تحليلاً مثيراً للإهتمام حول أحد الأحداث المهمة في العام 1986 حيث قال المحلل "قام البابا بول الثاني باقامة احتفال ديني غريب جمع فيه كل القادة الدينين في كل الدول ودعاهم الي المنصة لاقانة الصلاة لاحلال السلام وقال *"إن هؤلاء جميعا يعبدون الها واحدا وان صلاتهم تولد طاقة روحانيى تهي لاحلال السلام العالمي"*. وقد أشار المحلل إلي أن أحد الأهداف التي يتم السعي لتحقيقها عبر هذه المحاولات وغيرها هو السعي إلي توحيد العالم تحت منظمة دينية عالمية ليست بالضرورة قائمة علي مفهوم الدين بمفهومه العقائدي ولكن الدين بمفهوم الولاء للفكر الماسوني الذي يتم الترويج له والساعي بقبول فكرة سيادة العالم عبر سلطة واحدة تعمل علي تحقيق السلام والأمن في العالم.

المنظور الثالث للمؤامرة: هذا المنظور هو إمتداد أوسع للمنظور الثاني، حيث يرى البعض بأن المؤامرة هي مؤامرة قائمة علي إعتقاد ايديولوجي قائم علي أن الماسونية في أساسها هي مبنية علي إتفاق قديم الأزل بين بعض بني البشر والجن وإبليس. هذا المنظور بالطبع قائم علي أساس من المفاهيم الدينية الموجودة في جميع الأديان السماوية علي إختلافها وهو ما يمكن أن نطلق علي إختصاراً "تحالف الشر". الإعتقاد المرتبط بهذا المفهوم يتعدى ما قالت به الكثير من المصادر حول الأهداف الأساسية للماسونية والقائمة علي إقامة دولة اليهود وهزم الديانات الاخرى إلي ما هو أبعد من ذلك. ولقد تعدى هذا المعتقد إلي إقتناع البعض بأن هذا التحالف يضم أيضاً من يعرف في ثقافة المسلمين "بالمسيح الدجال"، ولدى البعض من علماء الإسلام المعروفين في هذا المجال، لديهم أراء تقول بأن الماسونية تسعى إلي إعداد العالم لظهور المسيح الدجال

بإعتبار ما ورد عن حبيبنا المصطفى محمد بن عبد الله، صلوات ربي وسلامه عليه، والتي حذر فيها من أن فتنة المسيح الدجال ستكون أكبر فتنة تشهدها البشرية علي الإطلاق وسيتأثر بها المسلمين وغيرهم. وعليه فإن القائلين بهذا المنظور يرون بأن المؤامرة في هذا السياق تهدف إلي إعداد العالم لتقبل ظهور المسيح الدجال حين يصور نفسه بأنه الإله الأوحد والأعظم (أي بأنه الله، وتجلي سبحانه وتعالى عن ذلك) وما سيعقب ذلك من أحداث وعلامات تعرف لدينا نحن المسلمين بعلامات الساعة الكبرى.

المنظور الرابع للمؤامرة: هو منظور سياسي بإمتياز لا يربط الماسونية بالمؤامرة بصورة مباشرة أو بشكل تلقائي. يقول هذا المنظور أن هناك إرتباط بين الماسونية وبين ما يدور في العالم من محاولة اليهود من التحكم في العالم، لكن يرى القائلون بهذا المنظور أن هذا الأمر لا تعود جذوره إلي ظهور الماسونية كمنظمة. ويرى القائلون بهذا المنظور أن هناك مرحلتين من تطور الفكر الماسوني، المرحلة الأولى من تطور الماسونية إرتبط إلي حد بعيد بالأهداف الأساسية للمنظمة والتي ذكرناها سابقاً والتي لم ترتبط بالضرورة برغبة الماسون في السيطرة علي العالم وإنما كانت الأولوية للأهداف الدينية. المرحلة الثانية أتت كتطور طبيعي للمرحلة الأولى حيث أن التحكم في الموارد الإقتصادية مقروناً مع محاولة تغيير التركيبة الثقافية والإجتماعية والدينية للشعوب أصبحا من أهم الإستراتيجيات التي كان لابد للماسون من إتباعها لتحقيق هدفهم، وقد إرتبطت هذه الإستراتجيات بأبعاد سياسية واضحة. ويرتبط هذا المنظور مع المنظور الأول الذي تعرضنا له سابقاً والقاضي بضرورة إقامة نظام عالمي جديد يتحقق عبر التحكم في المصير السياسي للعالم من خلال التحكم في الإقتصاد والثقافة. من أبرز العلامات في التاريخ الحديث التي يشير بها القائلون بهذا المنظور، هو ما قال به الرئيس الامريكي السابق جورج بوش الاب حين أشار في أحد خطاباته الشهيرة إلي أن التاريخ يضع في المحك ما أسماه بالنظام العالي الجديد (new world order) وهو خطاب مشهور للغاية ستجدون معلومات حوله في عدد من المواقع الإلكترونية. هذا المنظور يقول بأن بأن الماسون أصبح هدفهم لاحقاً التحكم في كافة الاحداث الكبرى حول العالم الي تسهم في بناء نظام عالي جديد. ولعل محاولة وضع هذا النظام العالمي قد تكررت علي مدى التاريخ وكان من خلفها دائماً اليهود بشكل أو اخر. فقد كانت حضارة بابل هي احدى هذه المحاولات وكان لقائد هذه الحضارة "النمرود" ذات الهدف في السعي لانشاء هذا النظام، ثم اعقبت ذلك محاولة اخرى في فترة الحضارة الفرعونية، التي بعد أن تم تدميرها تحول المؤمنون بهذا المفهوم بالتحول نحو أوروبا والتي اسسو فيها الامبراطورية الرومانية وهناك دلائل كثيرة علي ربط الرومان بالفراعنة في هذه الرؤية، والتي ترتبط أيضاً بشكل كبير بالتاج البريطاني، وبعد تبيان عدم فعالية هذا النهج خاصة مع قدوم الاسلام كدين جديد بدء التفكير نحو انشاء الإمبراطورية الجديدة في العالم الجديد وتمت السيطرة علي اراضي امريكا من اجل ايجاد مساحة مناسبة لانشاء كيان حضاري جديد يتناسب مع الافكار والاهداف الازلية.

المنظور الخامس للمؤامرة: هو منظور خليط من كل ما ذكرناه سابقاً، حيث يرى القائلون به أن كل هذه المحاور والأهداف التي ذكرناها موجودة بالفعل في خطة واحدة أساسها الصراع الأزلي بين الإنسان والشيطان أو بين الخير والشر، وأن كل ما يدور هو بالضرورة تفاصيل وأدوات، وأن الماسونية هي كيان ظل وسيظل موجوداً مادام هذا الصراع قائماً أي أن المؤامرة في أساسها هي تخطيط شيطاني بإمتياز لا علاقة له بصورة أصيلة باليهود، ولكن تم إستغلال اليهود لأسباب عدة في هذا الأمر أغلبها وردت في القران الكريم.

وما بين موقن بصحة نظرية المؤامرة – أيان كان منظورها- وبين مشككك في وجودها من الأساس نجد أن الجدال يطول والحقائق تكون في العادة ضائعة. لذا هناك إعتبارات كثيرة في هذا الجانب حول كيفية التأكد من أن المؤامرة موجودة بالفعل وما هي الأدلة علي وجودها، وما هو إرتباطها الحقيقي بالماسونية؟ وهي أسئلة مشروعة بالفعل.علي الصعيد الشخصي أجدني أميل للإعتقاد بوجود المؤامرة، فعلي أقل تقدير هذه طبيعة البشر، أضف إلي ذلك فإن الشر في أساسه قائم علي مبادئ التأمر والتخطيط لإيقاع الأذى وتحقيق أهداف الشر ومن هم ورائه. المؤامرة في إعتقادي الشخصي هي مزيج لكل هذه النظريات التي تحدثنا عنها وذلك لعدة أسباب. فقد تعددت النظريات لكن تقاطعت الإتجاهات كما ذكرنا سابقاً في كلمات محورية تدور حولها فكرة نظرية المؤامرة وهي كما ذكرناها سابقاً (الماسونية، اليهودية، فلسطين والقدس، السلطة وحكم العالم). إضافة إلي ذلك، سنجد أن من ينظر بشكل كلي لأحداث العالم، علي الأقل في التاريخ الحديث والموثق، يعرف تماماً بوجود شكل من أشكال التخطيط البعيد المدى لعدد كبير من الأحداث والذي يرتبط بوجود من يقف وراء هذه الأحداث وكذلك وجود أسباب موضوعية لها. وقد تكون عزيزي القارئ لا توافقني في الإعتقاد بهذا المنظور، لكن ندعوك إلي إعادة النظر في هذا الأمر. وقد أثارني تعليق أحد الأخوة الذين التقيت بهم حول هذا الموضوع حين قال "*منكر المؤامرة إما يكون غير عالم وعارف بما يجري حوله في العالم وهذا بحوجة أن يعلم ما يحدث في الخفاء، أو أن يكون ماسونياً وهذا يجب أن يتم كشفه للناس*". وقد لا أتفق بالضرورة مع هذا المقال.



ونسبة لصعوبة تنفيذ مخطط المؤامرة في كل أنحاء العالم، سنجد أن إستراتيجية اليهود قامت ببساطة علي أساس إيجاد أشخاص في الدول المعنية بهذا المخطط بحيث يمكن توجيههم للمشاركة بعلمهم أو بدون علمهم في تنفيذ هذا المخطط، بحيث يتم تحويل ولائهم من دينهم أو معتقدهم الاساسي نحو الإعتقاد في مبادئ ومفاهيم تجعلهم يعتقدون في المبادئ والأهداف التي تقوم علي أساسها الأهداف الأساسية من وراء كل هذا العمل والمتمثلة ببساطة في فرض السيطرة اليهودية علي العالم. وبالانضمام الي هذه الفئة يوحى إلي الشخص المستهدف بأنه أصبح جزء من النخبة التي تتحكم وتحكم العالم وسيكون له دوره في هذه العملية ودوره الفاعل في تحويل مجرى الأحداث في بلاده وفي العالم ككل. بالإضافة إلي ذلك، فإنه يتم الإهتمام بالطلاب المتميزين خاصة الطلاب من اسر ذات مكانة لهذا الغرض علي أن يكون هدفهم الدفع بالرأي والشورى المؤثرة علي قادة الشعوب مما يمهد لأيلولة الأمور كلها علي المدى البعيد الي منظمة البنائون الاحرار. الهدف من ضم هولاء ليس جعلهم ماسونيين اصيلين لكن من اجل التاثير عبرهم في المجتمعات المستهدفة.

الكثير من مظاهر المؤامرة وما نقول به ما هو الا إنعكاس لما ورد في القران الكريم، والباحث في علوم القران الكريم وتفسير معانيه واسباب نزوله يعرف تمام المعرفة ان الكثير من الشواهد تدل علي مفهوم المؤامرة خاصة المرتبط بالاهداف الدينية للمؤامرة. وكذلك في صميم إعتقاد الكثير من المسلمين أن المؤامرة – أيان كان شكلها – فهي شئ لابد من حدوثه لا محالة، ولعل الشوهد علي ذلك في الأحاديث النبوية كثيرة، ومنها قول سيدي رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه (*يوشك أن يتداعى عليم الأمم من كل أفق كما تتداعى الأكلة علي قصعتها، قلنا: من قلة بنا يومئذ؟ قال: لا، أنتم يومئذ كثير، ولكنكم كغثاء السيل، ينزع الله المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن، قيل وما الوهن؟ قال: حب الحياة وكراهية الموت*) أو كما قال الحبيب.

ولعل العارف بما هي عليه قواعد السياسة والإقتصاد في العالم اليوم، يعلم بما تقوم به الدول القائمة علي هذا النظام العالمي وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا وإسرائيل، وذلك بالحث علي قبول العالم بالنظام العالمي الجديد عبر الترهيب أو الترغيب للرضوخ والإذعان إلي قوانين موحدة توطر لها منظمة الامم المتحدة وذلك في كافة المجالات السياسية، الإقتصادية، الصحية، القانونية، الثقافية وغيرها.

لقد لفت أحد الأصدقاء إنتباهي إلي ظاهرة مهمة بدأنا نشهدها مؤخراً مرتبطة بالشأن السياسي في العديد من الدول خاصة دول الشرق الأوسط. فسنلاحظ أنه مهما كانت السلطة الحاكمة في الدولة المعنية أو نظام الحكم فيها فإنه يتم صنع نظام وصنع معارضة للنظام للبحث عن المداخل في الدولة بناء علي انظمة المنظمة الدولية ويكون الحديث بصورة آلية حول الحريات، حقوق الانسان، التنمية وغيرها. وقد حاورت صديقي هذا حول أن هذه القضايا هي بالفعل محاور غائبة في كثير من الدول، وأن الحديث عنها لا يعود بالضرورة إلي وجود من يحركها أو يقف ورائها لأغراض أخرى. ورد علي صديقي قائلاً بأن الطريقة الآلية التي

تطرح بها هذا القضايا تبدو في بعض الأحيان كأنها عملية تلقين يتم عبرها إيجاد منافذ لزعزعة الإستقرار السياسي وبالتالي الإجتماعي والإقتصادي في هذه الدول وإلا لماذا لا يوجد إستقرار في أي من دول الشرق الأوسط علي مر العقود الماضية. قد لا أتفق أن بالضرورة مع هذا الرأئ، وقد تشاركني في ذلك عزيزي القارئ، لكنه بالضرورة منظور جدير بالوقوف عنده في هذا السياق.

لكن وعلي جانب مختلف من المرآة وجدت تعليقاً يمثل بوضوح الجانب المشكك من هذا الجدال في العلاقة بين الماسونية والمؤامرة، وذلك حين يقول القائل "*الماسونية بالصورة التي يتحدث بها عنها الصادق عبد الماجد وغيره من الاسلاميين، هي من اختراعات نظرية المؤامرة، التي تحاول ان توهمنا بان كل هذا العالم وما فيه في حالة تامر مستمر ضد الاسلام والمسلمين، انه نوع من التخدير وتغييب الوعي بمشكلاتنا الحقيقة والهروب من مواجهتها وتعليق كل فشلنا وعجزنا وخيباتنا علي وهم اسمه الماسونية*". وهذا القول شائع جداً في أوساط المثقفين السودانيين. وفي ذات الإتجاه، كنا قد وجدنا رأياً جدير بالإحترام وقد رأينا أنه من الجيد أن نورده في هذا المقام "*عموماً نميل إلى تعليق أخطائنا على مؤامرة خفية أعدت بليل .. المؤامرة دوما تعفينا من تبعة المسائلة والنقد وتجعلنا ضحية لتكالب الاخرين علينا* ".

إنعكاسات الماسونية ونظرية المؤامرة علي السودان

سنجد أن القائلين بالمؤامرة كنظرية سياسية مرتبطة بالماسونية يقولون بأنها خلف عدد من الفتن الكبرى التي أصابت عدد من دول العالم ومنها الأمة الإسلامية ووراء جل الثورات التي وقعت في العالم مثل إلغاء الخلافة الإسلامية وعزل السلطان عبد الحميد، كما أنها كانت وراء الثورة الفرنسية والبلشفية والبريطانية وغيرها. وقد تقاطعت العديد من التحليلات حول تاثير المؤامرة علي السودان وعلي ما يجري فيه، ولقد وجدنا بالفعل العديد من المصادر تتحدث عن هذا الجانب وأسهبت في التحليل المنطقي والموضوعي في الكثير من الأحيان، وإن لم يخلو الأمر أحياناً من التحليلات المبنية علي أراء شخصية وإنفعالية بعض الشئ. كل هذا يدل علي شكل اللغط والجدل الذي يدور حول هذا الموضوع المهم للغاية.

وقد وجدت تعليقاً في أحد المواقع الإلكترونية، وجدته جديراً بالوقوف عنده لا أدري علي وجه التحديد من هو كاتبه، لذا أستاذن منك عزيزي القارئ في ذكره في هذا المقام، حيث يحاول ربط كل هذه القطع مع ما يحدث في السودان، وهو علي ما يبدو ممن يعتقد في وجود المؤامرة، حيث يقول كاتبه "*الماسونية أخطبوط العصر ووليدة الصهيونية العالمية وهي الذراع الأكبر لحركة اليهود في العالم، بها تنفذ إلى معاقل كل من بيدهم مفاتيح الأمور ومغاليقها من الكبراء والمسؤولين، وامتدت حبالها حتى طالت الملوك ورؤساء الدول منذ قديم الأزمنة وفي كل الدول الكبرى.. وللماسونية عصابة خفية أسسها حاخامات اليهود ونظموها تنظيماً سياسياً يهدف إلى إقامة مملكة صهيون العالمية، ولها يد بارزة فيما جرى ويجري في السودان بخاصة في منطقة البحيرات في جنوب السودان* " نهاية التعليق.

وكما ذكرنا سابقاً فالعنصر اليهودي يكاد يكون في محور كل النظريات التي تحدثت عن الماسونية كفكر ومنظمة وكذلك المؤامرة بكافة رواياتها، ونقول في المثل الشائع (لا يوجد دخان من غير نار)، لذا فإن وقوف اليهود خلف الوجود الماسوني في كل أنحاء العالم ليس إلا إستنباط منطقي في سياق القضية ككل. وإن كان من الضرورة بمكان أن نظل حذرين في إطلاق مثل هذا الحديث وعدم تعميمه علي كل اليهود. ولست بالشخص المناسب للتوضيح في هذا المجال، ولكن هناك العديد من المصادر التي تقصت حول الكيانات اليهودية المرتبطة بصورة مباشرة بقضية الماسونية. ومن هنا يجب أن نتطرق بصورة سريعة للوجود اليهودي في السودان وهو ما يرتبط بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بالوجود الماسوني في السودان. ولعل مصطلح اليهود المتسودنين هو مصطلح إرتبط بالضرورة بالوجود اليهودي في السودان وخاصة اليهود الذين عاشوا في السودان لفترات طويلة وصاروا من ضمن النسيج الإجتماعي السوداني، والسودان قطعاً ليس إستثناءً فقد عاش اليهود لفترات طويلة في مختلف أرجاء المعمورة. وقد يقول القائل أن الحديث عن الوجود اليهودي في السودان لا يرتبط بالضرورة بمنظمة الماسونية والأهداف التي تسعى لها وهو ما قد يكون صحيحاً إلي حد معين لكن لابد لنا من النظرة بشكل تحليلي أكثر لمعرفة الحقائق في هذا الجانب. وعليه يمكننا القول بلا شك بأنه ليس كل اليهود هم وراء هذه المعاني التي نتحدث عنها بل هم قادة الرأي والفكر ممهم ومن يحملون في نفوسهم قناعات دينية وعقائدية وأيدولوجية تقتضي منهم العمل علي تحقيق أهداف منظمة الماسونية.

المحفل الماسوني السوداني

المحفل الماسوني بشكل عام هو الوحدة التنظيمية الأساسية للماسونية وهو كذلك المقام الذي يلتقي فيه من ينتمون للمنظمة. ويجب على كل محفل في أي منطقة أن يخضع لتوجيهات محفل أكبر منه وفقاً لتسلسل هرمي محدد لكن وفق مجال محدود. ولعلنا حين نقول المحفل السوداني فذلك لا يعني بالضرورة أنه يوجد محفل واحد في السودان، بل يوجد عدة محافل لكنها تخضع لسلطات محددة من قبل محفل يكون مركزي في الغالب في الخرطوم، أو في مدينة اخرى خارج الخرطوم كما كان يحدث سابقاً.

من أوائل من كتبوا حول الوجود الماسوني في السودان هو الشيخ محمد الشريف الفاضل التقلاوي وهو أول رئيس لجماعة أنصار السنة والذي قام بإصدار كتاب له في العام 1936م بعنوان (الماسونية أخطر جمعية سرية في العالم) والذي أشار فيه لتاريخ دخول الماسونية في السودان والذي إرتبطت باللورد كتشنر كما ذكرنا سابقاً. وقد أشار التقلاوي إلي الشكل العام للمحفل الماسوني السوداني في ذلك الوقت ونقتبس بعض مما قال به حول عضوية المحفل الماسوني في ذلك الوقت" *....كبار السادة وعلية القوم ووجهاءهم*

من قادة الأحزاب والرأسماليين وقيادات من الجيش . وقد زاد العدد بعد ذلك ودخل عدد كبير من الأقباط والسودانيين والشوام واليونانيين وبعض الهنود وكذا آخرين من الإدارة الأهلية".

وحتى لا يطول بنا المقال في التحدث عن المحفل السوداني بصورة مفصلة، سنقوم فيما يلي بعملية سرد سريع لبعض المراحل التاريخية التي تم رصدها في تاريخ المحفل الماسوني السوداني:

- عدد من مصادر المعلومات إشارت إلي أنه بعد إحتلال السودان تم تأسيس اول محفل في الخرطوم سنة 1901م، وقد إرتبط إنشاء هذا المحفل بإسم اللورد كتشنر وذلك للثقة الكبيرة فيه من قبل المحفل الماسوني البريطاني. وبالإضافة إلي محفل الخرطوم، أشارت التقارير إلي ظهور محفل نشيط وفعال في مدينة عطبرة ومحفل مشابه في بورتسودان وذلك في العام 1910م.
- السير لي ستاك تولى شئون المحفل الماسوني في الخرطوم في العام 1924م وأعقبه القس غوين عام 1933م.
- أعقب ذلك تولى جونستون فين المعروف بالعم هاربر شئون المحفل في السودان والذي تقول الروايات بأنه قام بتنصيب ابن عمه في السودان حتى العام 1956م. ولما اعٌلن استقلال السودان في العام 1956م تغيرت الإستراتيجية العامة للوجود الماسوني في السودان بالسعي نحو خلق قيادات ماسونية محلية الصنع، وقد قال الكثير من المؤرخين في هذا الجانب أن الإتجاه العام في ذلك الوقت كان يهدف إلي إقناع القيادات الوطنية، الدينية والمجتمعية بإرسال أبنائهم للتعلم في الغرب ومن ثم تجنيدهم هناك لمصلحة الماسونية علي أن يكونوا نواة المحفل الماسوني مستقبلاً.
- أشارت المصادر إلي أن صالح محمد صالح الشنقيطي تولى مهام قيادة المحفل السوداني في مايو من العام 1959م كأول سوداني يتولى هذا المنصب وكان يدير المحفل من بريطانيا وواصل الشنقيطي عمله بالخرطوم حتى وفاته، ثم بعد ذلك إستلم يحيى عمران مهام قيادة المحفل كخليفة للشنقيطي والذي في فترة رئاسته تحولت إدارة المحفل إلي الخرطوم وإستمر الوضع كذلك حتى العام 1969م. وإرتبط نشاط المحفل في تلك الفترة بصورة وثيقة بعدد من الأسماء المعروفة في التاريخ السوداني علي رأسها إبراهيم بدري. بالإضافة إلي ذلك أشارت عدد من الوثائق إلي الأعضاء الأخرين في المحفل في ذلك الوقت وهم (عبد القادر يوسف، إبراهيم أحمد، محمد مكاوي، يوسف شبيكة، محي الدين مهدي، مكاوي سليمان أكرت، يحيي جمال، أحمد عبد العزيز، محمد عبدالرحيم، الزين حمد النيل، محمد علي طه، محمد عبد الرحيم الأمين، حسين حسن أبو، بابكر عباس، جورج جميل عبديني ، محمد صالح يحيى ، أحمد إبراهيم إدريس ، رياض منصور، زكي عبد الشهيد ، مكرم مجلع دميان، حسيب عبود الأشقر، شارل سلوم، مصطفى الصاوي، عبدالقادر مشعال، أحمد عمر خلف الله، رفعت بطرس، محمد آدم، بنيوتي تريزيس ، فخري بولس ، سعد مهنا ، محمد حسن الأمين). إن ورود هذه الأسماء في هذا المقال لا يعني بالضرورة موثوقية

المعلومات التي وردت في هذه المصادر حول إنتمائهم للمحفل، لكن قمنا بذكرها هنا من باب التوثيق وتجميع المعلومات من مختلف المصادر، وتظل مصداقية المعلومات قيد البحث.

- في العام 1970م وضمن توجه واسع النطاق في العالم الإسلامي تم إغلاق المحافل الماسونية وما يرتبط بها مثل نوادي الروتري والليونز في الكثير من عواصم الدول الإسلامية والسودان كان من ضمنها، وعليه تم إغلاق محافل الماسونية في السودان بشكل عام. وقد تحدثت المصادر أن المحفل السوداني حتى وقت إغلاقه كان يتخذ من المبنى الحالي لكلية الطب جامعة الخرطوم، بشارع القصر مقراً له، وأن أعضاء المحفل في ذلك الوقت لم يحاولوا البتة أن يخفوا عضويتهم بقدر ما كانوا حرصين على الدفع بسياج من السرية حول طبيعة الأنشطة التي كانوا يقومون بها، وقد قال البعض بأنه كثيراً ما تمت مشاهدتهم وهم يرتدون شعار الماسونية المعدنى على صدورهم فى الكثير من المناسبات الإجتماعية والرسمية.
- وفي سياق بحثنا عن بعض المعلومات حول الفترة التي تلت العام 1970م، تاريخ إغلاق المحفل الماسوني في السودان، وجدنا أن البعض قد قام بربط النشاط الماسوني في السودان بالنشاط الكشفي والحركة الكشفية، وأنه قد تم إختراق النشاط الكشفي السودان وإتخاذ جمعية الكشافة كغطاء لفترة من الوقت إمتدت ما بين عامي 1970م حتى العام 1974م. إلا أننا لم نجد مصادر موثقة تؤكد علي هذه الحقيقة لكن ذكرناها من باب الرصد فقط.
- لم نجد إشارة أخرى لنشاط المحفل منذ العام 1970م، وهو ما لا يعني أنه لم يكن نشطاً، إلا عبر مقال مشهور للاستاذ شوقي بدري، ابن إبراهيم بدري، حول الماسونية في السودان، والذي أشار فيه إلي حدث يعود تاريخه إلي ديسمبر 1983م حيث طلب منه صديق له أسماه بيرتل لياندر حين زار السودان في ذلك التاريخ، طلب منه الإنضمام إلي نادي الروتاري المرتبط حتى العام 1970م بصورة علنية بالمنظمة الماسونية. وهو ما يطرح تساؤل حول ما كان يفعله لياندر في السودان في ذلك الوقت وما هي الجهة التي كانت قائمة بإنشطة المحفل حينها. وقد أشار شوقي بوضوح إلي إنتماء والده للمحفل الماسوني كما ذكرنا سابقاً.
- في أثناء بحثنا في بعض مواقع الإنترنت، وعلي موقع مؤسسة معنية بمتابعة الماسونية في مختلف دول العالم، وجدنا إشارة واضحة حول نشاط المحفل الماسوني السوداني، حيث أشارت وثيقة تم العثور عليها تناولت المنصرفات المالية للمحفل السوداني في العام 2001م وطالبت الوثيقة بمراجعة منصرفات المحفل التي تبدو غير مبررة.

ما يعرف بنوادي الروتاري وعلاقتها بالمنظمة الماسونية أصبحت بالضرورة شئ من المعلومات المتداولة عبر نطاق واسع ولا تخفى علي أحد ولم ينكرها أحد حتى من أولئك القائمين علي أمر نوادي الروتري في كافة أنحاء العالم. ولعل إرتباط نادي الروتاري بالوجود الماسوني سواء أن كان ذلك من خلال عضوية

المحفل أو غيره يبدو شيئاً بديهياً. ولعل الدليل الأساسي علي هذا الأمر أن محمد صالح الشنقيطي الذي ذكرنا سابقاً أنه أصبح أول سوداني يقوم برئاسة المحفل السوداني كان أن سبق له أن أصبح أول سوداني يحتل منصب المدير الإقليمي لنادى الروتاري في المنطقة. وقد وجدنا في بحثنا هذا بأن أول نادي للروتاري إنشاء في السودان كان في يونيو 1938م وكان أعضائه حين ذاك 35 عضواً وسنتناول ذلك لاحقاً في سياق مختلف. ومع إستقلال السودان، تبدلت كثير من القواعد ومجريات الأمور ولم نجد في الموارد التي قمنا بمراجعتها الشئ الكثير حول هذا النادي. لكن في العام 1969م وفي مقال بجريدة الميثاق الإسلامي أشارت الصحيفة إلي وجود نشاط بين لهذا النادي وأعضائها مما يدل علي أنه كان موجوداً منذ الفترة التي أعقبت الإستقلال، أي أكثر من عشر سنوات من النشاط السري. واللافت في المقال هو أن أعضاء النادي كانوا من بعض كبار المسؤولين في الدولة والسياسيين في ذلك الوقت وهو ما يتماشى بالضرورة مع السياق العام لمنهج الغزو الماسوني للدول كما أشرنا إليه سابقاً.



صورة لأعضاء نادي الروتاري بالخرطوم

في العام 2010م تم ولأول مرة إعلان وجود نادي الروتري في جوبا. واللافت للنظر أن الإعلان عن النادي، وفق موقع النادي علي الإنترنت، أتى مصحوباً بالحديث عما قام به النادي في الفترة الماضية من مشاريع خيرية وتنموية وغيره، أي بكلمات أخرى أن النادي لم ينفي وجوده من قبل وإن كان بصورة سرية. إضافة إلي ذلك فقد كان لافتاً للنظر بالنسبة لنا عبارة محددة في كلمة رئيس النادي علي الموقع إذ قال:

"I would very much welcome all Rotarians, rotractors and interested people to the Rotary club of Juba which is the only club in this Nation of South Sudan" 2010.

ولعل عبارة "النادي الوحيد في أمة جنوب السودان" لها مدلولات كثيرة. حيث كان هناك تساؤل كبير هو مدلولات إستخدام كلمة عبارة أمة جنوب السودان بالرغم من أن جنوب السودان في العام 2010م لم يكن

قد أجراء عملية إستفتاء المصير ولم تعلن الجنوب كدولة أو أمة حتى ذلك الوقت، لكن ليس هذا السياق المناسب لمناقشة هذا الأمر.

علي كل حال، فإن الأدلة تشير إلي أن نشاط المحفل الماسوني السوداني مازال قائماً وأن كان بطريقة سرية من خلال تستره خلف أي من المؤسسات القائمة الان، لكن لابد أن نشاطه مستمر بصورة أو باخرى.

صفة الماسونية في السودان

لعل من أشهر السودانيين الذين تناولوا موضوع الماسونية بشكل عام وإرتباطها بالسودان هو الأستاذ صادق عبد الله عبد الماجد. وقد وجدنا مقالاً تحليلياً وقمنا بأخذ مقطعٍ مثير للإهتمام حيث قال *"الماسونية أخطبوط العصر ووليدة الصهيونية العالمية وهي الذراع الأكبر لحركة اليهود في العالم بها تنفذ إلى معاقل كل من بيدهم مفاتيح الأمور ومغاليقها من الكبراء والمسؤولين، وامتدت حبالها حتى طالت الملوك ورؤساء الدول منذ قديم الأزمنة وفي كل الدول الكبرى.. وللماسونية (عصابة خفية أسسها حاخامات اليهود ونظموها تنظيماً سياسياً يهدف إلى إقامة مملكة صهيون العالمية) يد بارزة فيما جرى ويجري في السودان بخاصة في منطقة البحيرات في جنوب السودان."*

الماسونية كانت ولازالت بإعتبارها مسبة لمن يشار إليه بأنه ماسوني، وهذا بصورة خاصة يكون ملحوظاً في المجتمعات الإسلامية والسودان جزء منها بالتأكيد. وقد لاحظنا خلال مراجعتنا أن صفة الماسون تستخدم بصورة واسعة في الصراع السياسي في السودان. فستجد أن مختلف الأحزاب التي في الحكم أو في موقع المعارضة، سنجدها إستخدمت هذه الصفة لوصف بعضها بعضاً ولبناء صورة سلبية متصلة بطبيعة الماسونية كفكر ومنظمة تسعى بصورة أساسية للتحكم في الدول في النواحي السياسية والإقتصادية في الدولة وما يتبع ذلك إضعاف للدولة بشكل كلي. وقد رأينا في الكثير من مواقع الإنترنت تبادل في إتجاهين لوصف السياسيين أفراداً وجماعات وأحزاب بصفة الماسونية والماسون. هذا الأمر يجعل من الصعوبة بمكان ربط الوجود الماسوني في السودان بجهات أو مؤسسات معينة، وهو ما جعلنا نركز علي فهم إستراتيجية الوجود الماسوني في السودان والمرتبط بالتحكم في مراكز القوة المتمثلة في إتخاذ القرار في سياسات الدولة وإقتصادتها.



وفي سياق رصدنا للتعليقات التي وردت حول الوجود الماسوني في السودان، وفي سياق مقال حول هذا الجانب، وجدنا المقطع التالي يتساءل حول جانب مهم للغاية وإن كان لا يخلو من السخرية، وأردنا أن نقدمه لك عزيزي القارئ لعلك تبدأ بالتساؤل مثلنا عن أين يقع السودان اليوم من النشاط الماسوني، فقد قال الكاتب *"تقولون !! أو يقال عنكم أنكم تصنعون القادة حول العالم، ولا تقبلون فى صفوفكم إلا الناجحون من رجال الفكر والمبتكرين والمبدعين، ولا أر من قادة السودان مبدعاً واحداً ولا مفكراً ولا مبتكراً ممن ورد أسماؤهم، رغم عدم إنقطاع نشاطكم فى السودان بحسب إعتراف المنشور الذى أشرنا إليه ،، فمن أنتم يا ترى ؟؟ هل أنتم الماسون الفاشلون؟"* . لعل الكاتب قد لفت إنتباهنا إلي محورين مهمين، الأول هل الماسونيين السودانيين يجب بالضرورة أن يكونوا يعملون في العلن وأننا نعرف أشخاصهم وإن لم نعرف إنتمائهم، أم أنهم ليسوا بالضرورة أشخاص معروفين ومن باب المحافظة علي غطائهم لا يتواجدون بكثرة في الإعلام والأنشطة المجتمعية. المحور الثاني، أيان كانوا هؤلاء، هل غياب الأسماء يعني غياب النشاط؟ بالقطع لا. وتبقى الأسماء التي تتناولها الأوساط التي تعنى بقضية الماسونية في السودان كما قلنا مرتبطة بالسياسة والإقتصاد إلي حد بعيد، وفي بعض من الأحيان تبقى هذه الأسماء مجرد أسماء لا قيمة لها في ميزان الشهرة أو المعرفة لدى العامة من الناس، لكن في ذات الوقت وجدنا في بحثنا بعض الأسماء المعروفة في المجالين السياسي والإقتصادي علي وجه التحديد إلا أننا والحق يقال لا نملك معلومات كافية حول هذا الجانب. وعلى الرغم من قلة ما كتب حول الماسونية بشكل عام، إلا أن أسماء أو صفات بعينها توجهت نحوها أنظار الكتاب سواء أن كانوا مؤرخين، مدونيين أو صحفيين.

وقد وجدنا أنه من المفيد أن نتطرق إلي الصفات التي وجدنا مجموعة الأسماء المذكورة تتصف بها، وذلك أفضل من أن نقدم أسماء بدون أدلة ملموسة تعزز ما نقول به. ومن هذه الصفات:

- الأسماء التي وردت إرتبطت بصورة وثيقة بالأسماء التي ذكرناها حول مؤسسي المحفل الماسوني الأول في السودان، سواء أن كانت هذه العلاقة في شكل علاقة قربى أو في شكل علاقة مصالح

سياسية أو إقتصادية معروفة لدى الجميع. وهذا الأمر هو بالفعل من سمات المنظمة الماسونية، وذلك لا يرتبط فقط بالسودان، حيث يقوم الأباء والأجداد بتهيئة أبنائهم وأحفادهم من بعدهم لتولى المهام الموكلة للشخص المعين بما يضمن الإستمرارية والسرية. ولعل المقال المنسوب إلي شوقي بدري والذي أشرنا إليه في هذا المقال، هو خير دليل علي ذلك. وإذا قمت بالبحث عزيزي القارئ بشكل عميق ستتضح لك هذه العلاقة بصورة جلية وواضحة.

- الغالبية العظمى من الأسماء التي تحصلنا عليها من خلال بحثنا هي من الرجال، وتكاد تضم إمراة واحدة أو إثنتين في سياق السودان.
- جميع من أشارت إليهم التقارير والمدونات والكتب هم من السودانيين الذين تلقوا دراساتهم الجامعية أو فوق الجامعية في احد الدول الغربية وبصورة خاصة أمريكا أو بريطانيا. وهذه الصفة ليست مرتبطة بالضرورة بالمحفل السوداني، فهذه الإستراتيجية تستخدم بصورة أساسية في العديد من الدول العربية والأفريقية بصورة محددة وبناء علي ترتيبات محددة.
- الأسماء التي ترتبط الفكر الماسوني أو بدعمه في سياق السودان تنتمى بشكل محدد إما لمجالات السياسة أو إلي مجالات الإقتصاد، وبالرغم من إتساع وجود الماسون علي مستوى العالم في جميع محاور ومجالات المجتمع، لكن يبدو أن هذين المجالين هما مفتاح الولوج إلي آلية التحكم في السودان ومصيره، وهذا بالفعل ما يحدث. وقد وجدنا الوصف التالي لأحد ممن يشار إليهم بإنتمائه إلي المحفل الماسوني *"موظف مرموق بأحد البنوك تحوله الماسونية بين عشية وضحاها لأكبر مسيطر علي اقتصاد البلاد واكبر هادم له في ذات الوقت"*، بينما وصف اخر بالوصف التالي *"رجل سوداني بعقلية اوربية، وبين ليلة وضحاها أصبح اقتصاد البلاد بين يديه"*.
- بالرغم مما ذكرناه في النقطة السابقة، إلا أن أصابع الإتهام بالإنتماء إلي الفكر الماسوني ودعمه طالت ابن شيخ طريقة صوفية كبيرة وابن زعيم طائفة كبيرة هما وكلاهما درس بالخارج وتنطبق عليهما كثير من الصفات التي يسعى الماسون ومنظمتهم إلي توفرها فيمن ينتمى إليهم.

الغموض في المعلومات حول الوجود الماسوني في السودان في الفترة التي تلت العام 1970م، وبالرغم عن وفرة المعلومات حول الفترة التي سبقت ذلك، يجعلنا نقف أمام ثلاثة حقائق ألا وهي:

1- أن الماسونية في السودان هي بلا شك موجودة في الوقت الحاضر وأنه يتم التستر عليها بشكل أو باخر.

2- بالرغم من سرية الوجود الماسوني بشكل عام حول العالم، وهذا من ضمن أساسيات الفكر الماسوني، إلا أن وجود الماسونية شئ معلوم بالضرورة في كل مكان، لذا ينبأنا التستر علي وجودها في السودان، ينبأنا بالنوايا السلبية الطابع بالتأكيد.

3- وأخيراً عزيزي القارئ، لابد من أن نعي أن الحديث عن الماسونية بشكل محدد هو "ملعب" أكبر بكثير مما قد نعتقد أنا وأنت عزيزي القارئ، لكن لابد من إقتحامه لمعرفة ماذا يوجد داخل هذا العالم.

إنتهى المقال
د. أمجد محمد إدريس